

العمارة ما قبل اليونانية - عمارة منطقة بحر إيجه

AEGEAN ARCHITECTURE

(الجزء 2)

3. عمارة جزيرة كريت أو العمارة المينوية Minoan Architecture

1.3. تخطيط المدن في جزيرة كريت

رافق فترة ازدهار جزيرة كريت في العصر البرونزي الوسيط (2000-1600 ق.م.) نشوء مدن هامة تركزت في وسط الجزيرة. شكلت مدينة كنوسوس Cnossos المركز السياسي والاقتصادي، بينما تعتبر ماليا Mallia وفايستوس Phaistos عاصمتان محليتان على الساحل الشمالي والجنوبي للجزيرة.

تميزت التجمعات السكانية وتخطيط المدن في جزيرة كريت بطابع خاص. إذ نشأت إضافة إلى تجمعات الموانئ الموجودة على ساحل البحر مباشرة مدن على السفوح الجبلية والتلال، تمتاز بكونها محمية من حر المنطقة الساحلية والعواصف والأمواج العاتية التي ترافق الزلازل. إن هذه المدن كانت تسيطر على الطرق التجارية المؤدية إلى داخل الجزيرة وتمتاز بإطلالتها على البحر. ويبدو أن سكان جزيرة كريت لم يعيروا خطر الغزو البحري اعتباراً لأن مدنها لا تحتوي على أية تحصينات تذكر نتيجة سكنهم ضمن جزيرة وبسبب قوة أسطولهم البحري.

مدينة كنوسوس Cnossos

تقع مدينة كنوسوس على بعد 6 كم عن شاطئ البحر على هضبة بارتفاع 60 م عن سطح البحر، عند تقاطع اثنين من أهم طرق المواصلات المؤدية إلى داخل الجزيرة.

نموذج المدن السائد في جزيرة كريت على امتداد العصر البرونزي هو نموذج المدينة ذات القصر. وهي مدينة يضم نسيجها على حد سواء عناصر مسبقة التخطيط وعناصر ذات نمو عفوي. ويعد قصر الملك، الذي يقع وسط المدينة، المركز السياسي والاقتصادي والديني للمدينة. تؤدي إليه شوارع المدينة الرئيسة من اتجاهات متعددة، وهي لا تتبع في مسارها نظاماً معيناً وإنما تتلاءم مع تضاريس المنطقة. وتشكل حول القصر مدينة مركزية تتخذ شكلاً بيضوياً.

تتوزع الأحياء السكنية بشكل نسيج مترابط يعتمد مبدأ اللابيرنت أي البيوت السكنية المتلاصقة المفتوحة على أفنية داخلية. وتؤمن أزقة ضيقة الوصول إلى الأحياء السكنية. وهي تتكون بشكل أساسي من بيوت صغيرة ومشاعل مهنية ودكاكين تتوزع بينها فيلات طبقة النبلاء وبعض المباني العامة الهامة. وتحيط بالمدينة المركزية أحياء خارجية ذات كثافة أقل.

نموذج المدينة ذات القصر



- 1 القصر
- 2 القصر الصغير
- 3 مبنى معروف بالخان
- 4 بيوت فخمة
- 5 حدود المدينة الخارجية
- 6 الشوارع والساحات

مخطط مدينة كنوسوس في جزيرة كريت

إن تخطيط المدن الكريتي كان يعتمد على النمو العفوي، القادر على التلاؤم مع الظروف المتغيرة. وبما أن المدن لم تكن محاطة بأسوار فقد كان بإمكان أحياء المدينة الخارجية أن تتوسع دون قيد. فُدر عدد سكان مدينة كنوسوس بحوالي 80000 نسمة وهي تعتبر بذلك أولى المدن الكبرى في منطقة البحر المتوسط.

2.3. العمارة السكنية في جزيرة كريت

تتبع الحضارة الكريتية المبكرة في عمارتها السكنية الحضارة المشرقية القديمة في بلاد الرافدين وبلاد الشام التي تعتمد مبدأ النسيج المترابط المكون من بيوت متلاصقة مفتوحة على أفنية داخلية. وقد تمت ملاءمة هذا النظام مع المناخ والتضاريس والتصورات المحلية. حيث طُور ضمن هذا الإطار نموذج المباني المعروف باللابيرنت Labyrinth كمبدأ للعمارة في جزيرة كريت. ويعتبر بناء كتل مترابطة من المباني السكنية مألوفاً في الجزيرة منذ العصر الحجري المتأخر وحتى الفترة المينوية المتأخرة (أي من عام 3000-1100 ق.م).

إن الشكل الخارجي غير المنتظم للبيوت يتناسب مع تنظيمها الداخلي. ويتم الدخول إلى الفراغات المختلفة أو من فراغ إلى آخر ضمن هذه البيوت بشكل جانبي أي من زاوية الغرفة وليس بشكل محوري وذلك لتحقيق الاستخدام الأمثل للمساحات. وتتألف البيوت من مجموعات مختلفة من الفراغات كل منها مخصص لاستخدام محدد.

3.3. قصور جزيرة كريت (القصور المينوية)

تعتبر القصور أهم الأبنية التي أنشئت في جزيرة كريت في العصر البرونزي المتوسط (2000-1600 ق.م).

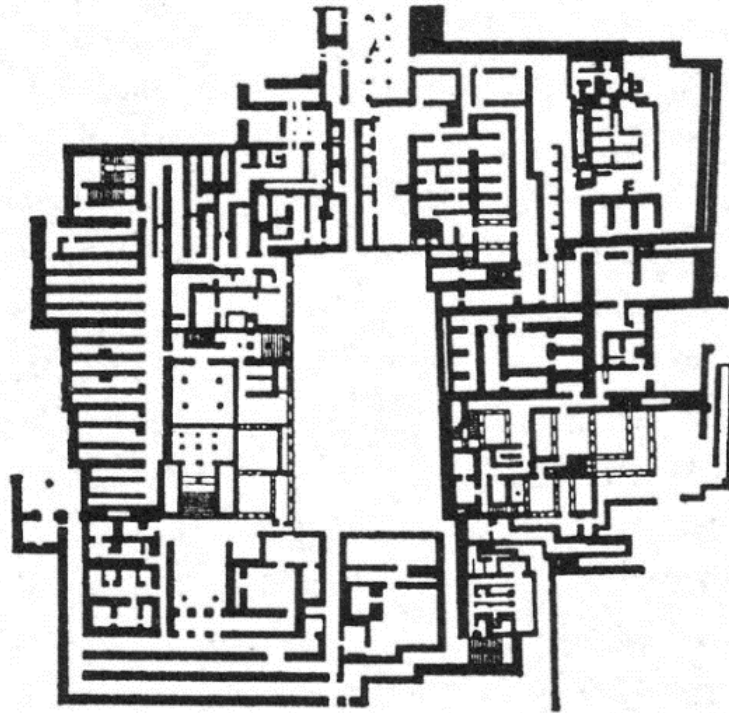
كان لهذه القصور وظائف متعددة نظراً لكون الملك يمثل السلطة السياسية والاقتصادية والدينية في آن واحد. فهي مركز سياسي؛ أي أنها تضم بلاط الملك وقاعة العرش وتعد مكان الاستقبالات الرسمية. كما أنها مركز إداري فهي تحوي مقر القضاء وخزينة الدولة ومخزن الأسلحة. كما أنها مركز اقتصادي إذ يتم فيها تجميع المنتجات المختلفة من أنحاء الجزيرة إما للاستخدام المحلي أو للتصدير وتعتبر مكاناً لتصنيع المنتجات الزراعية والحرفية والفنية المتميزة، إضافة إلى كونها مركزاً للتجارة الخارجية وسوقاً للتبادل التجاري بين المدينة ومحيطها. كما أنها مركز ديني فهي مقر الملك الكاهن، إذ توجد فيها الفراغات المخصصة للطقوس الدينية والهياكل ومكان تقديم الأضحية في الساحة المركزية. إضافة إلى كون هذه القصور مبنى سكني فهي مكان إقامة الملك أو الأمير المحلي وحاشيته.

هذا التنوع الوظيفي يفسر اتساع هذه القصور وتنظيمها المعقد. وقد تم تصميمها من الداخل إلى الخارج، كما هو الحال في البيوت السكنية ولكن بمقياس أكبر. مركز المبنى عبارة عن فناء داخلي أشبه ما يكون بالساحة العامة نظراً لاتساعه ووظيفته وطريقة معالجة واجهاته. تحيط به مجموعة من الأبنية المرتبة حسب الوظائف المختلفة والتي يمكن اعتبارها وحدات مستقلة. كانت الشوارع الرئيسة للمدينة تنتهي في كثير من الأحيان في الفناء المركزي أو في أحد الأفنية الخارجية.

وبما أن هذه القصور غير محاطة بتحصينات فقد كانت قابلة للتوسع بسهولة عند الحاجة. جميع هذه القصور تتبع النظام نفسه في تصميمها مع وجود بعض الاختلافات المحلية ومن أشهر الأمثلة عليها قصر كنوسوس.

قصر كنوسوس Palace of Cnosos

يفوق قصر كنوسوس بقية القصور من حيث الأهمية السياسية ومن حيث الحجم والاتساع، فمساحته تبلغ 22.000م²، ويمتاز عنها بتصميمه وتنوع الفراغات الموجودة فيه. البقايا التي تم الكشف من خلال التنقيب تضم أجزاء من الطابق الأرضي تعود إلى الفترة المينوية المتأخرة (1600-1100 ق.م)، فيما يُعد التصور الذي وضعه Evans للطابق العلوي مثارا للجدل.



كنوسوس: القصر الملكي

تتوزع المنشأة حول فناء مركزي كبير. يشمل الجناح الغربي الواسع مجموعة الفراغات المخصصة للطبقات الدينية في الطابق الأرضي وفراغات التمثيل الحكومي في الطابق العلوي، بينما يضم الجناح الشرقي السكن الملكي.

الواجهة الغربية للفناء المركزي للقصر تجمع العناصر الهامة في عمارة جزيرة كريت. فهي مؤلفة، تبعا للتصور الذي وضعه Evans، من طابقين رئيسيين يعلوان طابقا منخفضا يشكل قاعدة البناء، نصفه يقع تحت الأرض. تفتح الواجهة على الفناء بنوافذ ذات إطارات عريضة. ويبرز عن الواجهة جزء من المبنى يضم درجا فخما يؤدي إلى الطابق العلوي بصالاته المخصصة للاستقبال والتمثيل الحكومي. يتقدم الواجهة في الطابقين العلويين أروقة محمولة على أعمدة. إن هذه الواجهات تستفيد إلى حد كبير من الظل والنور في إبراز عناصرها ولا بد من تجميلها ملونة بألوان زاهية وخاصة الألوان الأساسية أي الأحمر والأزرق والأصفر.

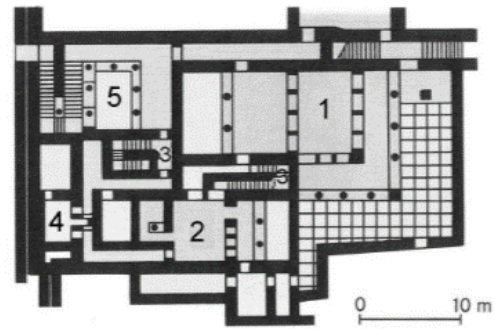
كما تتميز العمارة الكريتية بكونها تهتم بالعناصر الزخرفية أكثر من اهتمامها بإظهار المنطق الإنشائي، لذلك نجدها مثلا تستخدم أعمدة تضيق نحو الأسفل وهو ما يعرف بالعمود الكريتي إضافة إلى التزيين بواسطة أفاريز مختلفة وشرافات على شكل قرون الثيران المجردة.



كنوسوس: القصر الملكي - تصور لجزء من الجناح الغربي المطل على الفناء الرئيس

التنسيق المتقن للفراغات الفخمة يتكرر في الجناح الشرقي من قصر كنوسوس، الذي يضم سكن الملك. كان هذا الجناح مؤلفا مما لا يقل عن أربعة طوابق، الأولان منهما مبنيان داخل سفح الجبل وهما مكونان من مجموعتين من الفراغات أهمها ميغارون الملك وميغارون الملكة وهي تتميز بطابعها السكني الخاص، فهي مغلقة نحو الخارج وتفتح على أفنية داخلية صغيرة. وترتبط بين الجزأين ممرات خاصة وأدراج داخلية.

- 1 صالة الفؤوس المزدوجة (ميغارون الملك)
- 2 ميغارون الملكة
- 3 أدراج داخلية
- 4 دورة مياه
- 5 الدرج الرئيسي



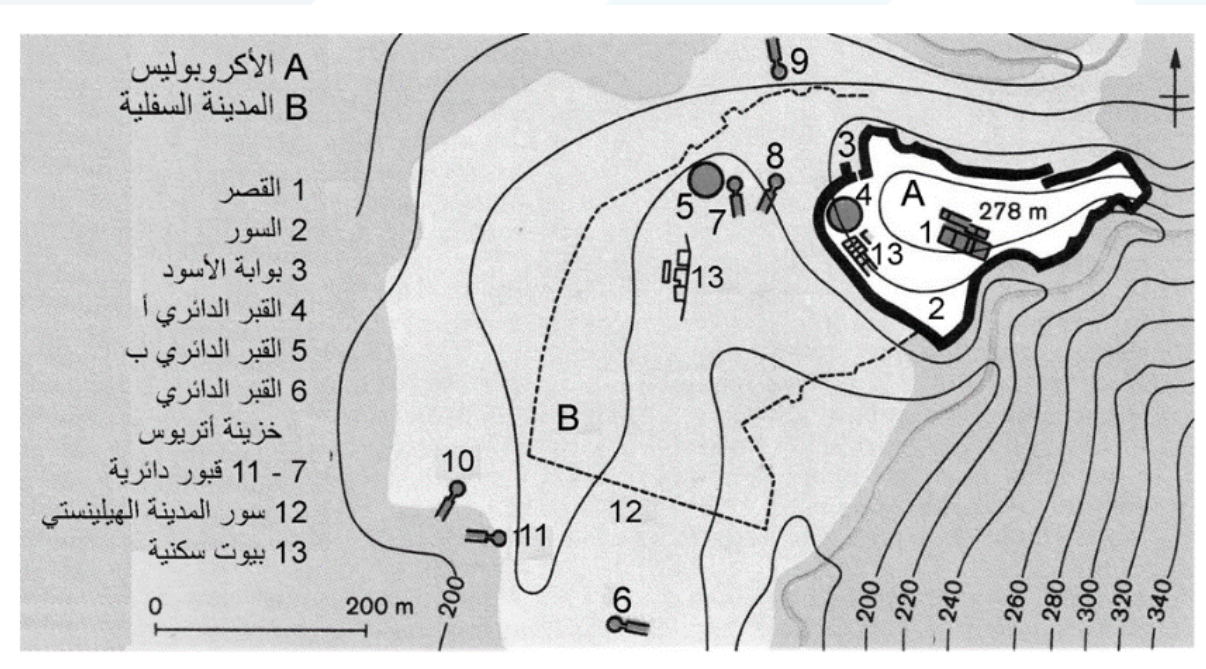
كنوسوس: القصر الملكي - الجناح الشرقي

4. عمارة البراليوناني أو عمارة ميكانة Mycenaean Architecture

1.4. تخطيط المدن

انتشرت في جنوب اليونان أي فيما يعرف بالبراليوناني - على عكس جزيرة كريت - المدن المحصنة المحاطة بالأسوار وهي تحيط بالقلعة الواقعة على مرتفع في المدينة يدعى الأكروبول. هذه القلعة المحصنة تمثل سلطة العائلة الحاكمة.

تعد مدينة ميكانة Mycenae، التي تعود إلى العصر البرونزي المتأخر (1100-1600 ق.م) وقلعتها من النماذج المثالية للمدن ذات القلاع المرتفعة. تقوم المدينة على تل مرتفع مما يجعلها تسيطر على المنطقة المحيطة وعلى طرق التجارة القريبة منها. الأكروبول المحصن بسور منيع يقع شمال شرق المدينة، التي تمتد على سفح جبلي تحصيناته تحمي القصر والمدينة الداخلية. أما المدينة الدنيا فتمتد على السفح غرب وجنوب غرب المدينة. وقد تم تحديد حدود المدينة ونموها من قبل علماء الآثار من خلال مواقع المدافن الدائرية التي تتوزع على أطراف المدينة.

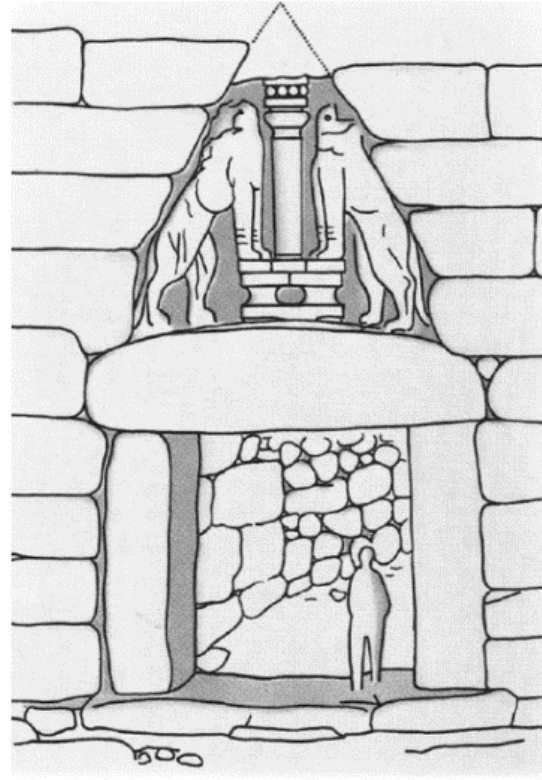


ميكانة: الأكروبول والمدينة السفلية

2.4. الإنشاء بالحجارة الضخمة - الميغاليت

يتميز الإنشاء في عمارة ميكانة باستخدام الحجارة الضخمة المعروفة بالميجاليت Megalith. إن المثال الأكثر شهرة على هذه الطريقة في البناء يظهر في المدخل المؤدي إلى قلعة ميكانة، والمعروف ببوابة الأسود Lionsgate، التي تعود إلى بداية القرن 13 ق.م.

تتألف البوابة من أربعة حجارة ضخمة وزن كل منها عدة أطنان (معروفة بالميجاليت)، تشكل إطاراً حجرياً ارتفاعه حوالي 3,25 م وعرضه 3 م. يستمر الجدار نحو الأعلى فوق حجر الساكف المتميز بثخانته بحيث يشكل مثلثاً عاتقاً نتيجة بروز الحجارة بشكل متتالي عن بعضها البعض، مما يسمح بنقل الحمولات وتوزيعها على جانبي البوابة. هذا المثلث العاتق مغلق ببلاطة حجرية مثلثة الشكل ارتفاعها 3 م، تحمل واجهتها الخارجية نحتاً مشهوراً يمثل لبؤتين واقفتين تستندان إلى قاعدة عمود كريت (من النموذج الذي يضيق نحو الأسفل). أما رأسي اللبؤتين المفقودين، فيعتقد أنهما كانا من مادة مختلفة. هذا النحت ذو أهمية كبيرة كونه يعتبر من أوائل المنحوتات الأوروبية.



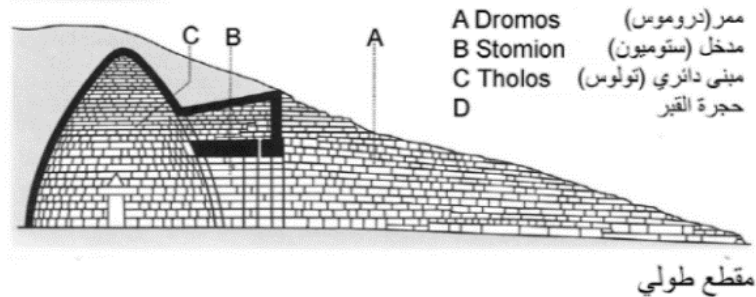
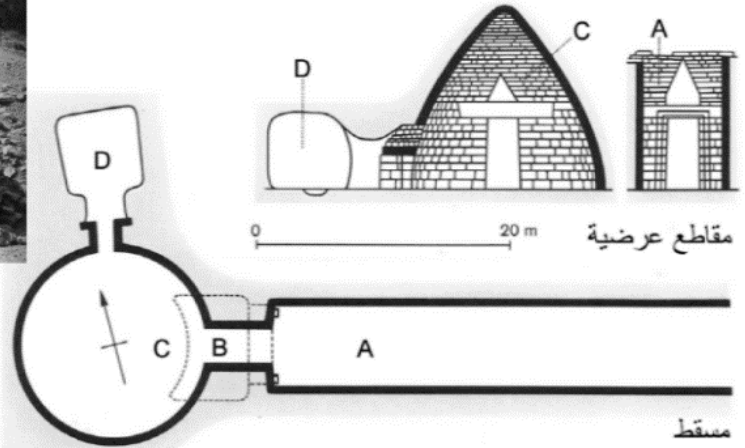
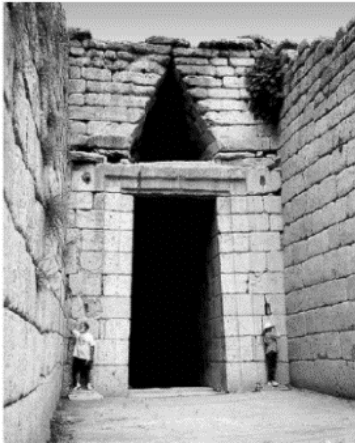
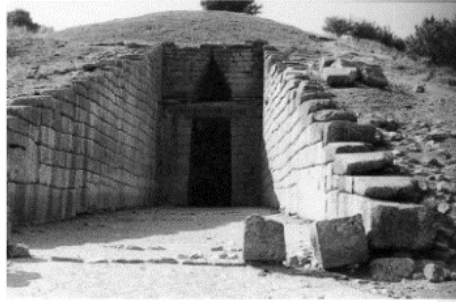
ميكانة: بوابة الأسود (القرن 13 ق.م.)

تظهر هذه الطريقة في الإنشاء أيضا من خلال نموذج آخر من المباني هو المدافن الدائرية.

3.4. المدافن الدائرية Circular Tombs

تعتبر الأبنية الدائرية من أقدم النماذج المعمارية وقد استمر استخدامها في العمارة الدينية وعمارة القبور مدة طويلة. تم الكشف عن مساقط دائرية في أماكن عديدة من منطقة بحر إيجة. فضلت الطبقة الحاكمة في البر اليوناني في البداية القبور العمودية المحفورة ضمن الأرض ولم يتم الانتقال إلى القبور الدائرية إلا في العصر البرونزي المتأخر.

يتم الوصول إلى التولوس Tholos المبنى الدائري عبر ممر غير مسقوف يدعى دروموس Dromos يُشق ضمن التل وتبني جوانبه بالحجارة المنحوتة لمنع التربة من الانهيار. ينتهي الممر عند مدخل ضيق معروف بالاستوميون Stomion، الذي يجعل على شكل بوابة متقنة. تغطي المبنى الدائري قبة ناتجة عن بروز طبقات الحجارة المنحوتة (المداميك) نحو الداخل بشكل متتال فوق بعضها (وهي بذلك ليست قبة حقيقية)، وهي تشكل مركز هذا النموذج من القبور.



ميكانة: خزينة أتريوس - مدفن دائري

إما أن يتم بناءها داخل سفح تل أو أن يتم طمرها جزئياً بتل صناعي دائري يسمى تومولوس Tumulus. عادة ما كان يتم دفن الموتى في المبنى الدائري ضمن حفر عمودية مع هبات مختلفة. ولا يتم العبور من المبنى الدائري إلى حجرة دفن مستطيلة ملحقة إلا في قلة من القبور، كما هو الحال في المدفن المعروف بخزينة أتريوس Treasury of Atreus الذي يقع في مدينة ميكانة، والذي يعتبر من أشهر هذه القبور وأكثرها محافظة على بنيته الأصلية. سبب تسميته خزينة وليس قبرا الهبات الذهبية القيمة التي وجدت داخله، مما أدى على الاعتقاد في البدء أنه خزينة.

يبلغ قطر قبته 14,5 م وارتفاعها 13,20 م ويبلغ طول الدروموس المؤدي إليه 36 م وعرضه 6 م. جدران التولوس والدروموس مبنية بحجارة منحوتة ذات أحجام كبيرة وقد تم نحت حجارة القبة وإعطاؤها الشكل النهائي بعد وضعها في مكانها لتتناسب مع انحناء القبة corbeled dome. واستخدمت بلاطتان حجرتان ضخمتان وزن كل منهما عدة أطنان لتغطية المدخل الذي يبلغ عرضه 2,5 م (أبعاد الكبيرة منهما 8 × 5 × 1,2 م). وحتى لا تتأثر البلاطتان بحمولات القبة تم إنشاء قبوة عاتقة فوقهما ذات مقطع مثلث. وقد بقيت قبة خزينة أتريوس أكبر قبة معروفة في العالم مدة 1400 عام إلى أن أنشئ معبد البانتيون في روما.

كان إنشاء المدخل مغطى بواجهة تزيينية مزخرفة تناقض البنية الإنشائية. إذ يحيط بالباب من الجانبين أعمدة رفيعة من الحجر الأخضر وهي من النمط الكريتي الذي يضيق نحو الأسفل. جسم هذين العمودين وتجاههما مغطيان بالزخارف ويعلوهما عمودان مماثلان يحملان طنفاً رفيعاً، مما يشكل إطاراً للبلاطة المزخرفة التي تغطي الواجهة والتي تكرر شكل المثلث العاتق ولكن فقط كشكل دون إبراز أهميته الإنشائية. وتشكل مجموعة من قرون الثيران الرمزية نهاية الواجهة. أي أننا نجد في هذه الواجهة، التي هي أشبه بمدخل قصر، عناصر العمارة الكريتيّة تغطي الإنشاء الميكاني.